مركز المنبر
للدراسات والتنمية المستدامة
ALMANBAR CENTER FOR STUDIES
AND SUSTAINABLE DEVELOPMENT

في مهد أول حضارة وامبراطورية في التاريخ..

اكتشاف أثري يثبت أن البيروقراطية في العراق تعود إلى 4000 عام

الكاتب: داليا ألبيرج

المصدر: "ذا أوبزرفر" صحيفة أسبوعية بريطانية ، نشر بتاريخ 15 أذار 2025

عن المركز

مركز المنبر للدراسات والتنمية المستدامة، مركز مستقلٌّ، مقرّه الرئيس في بغداد. رؤيته الرئيسة تقديم وجهة نظر ذات مصداقية حول قضايا السياسات العامة والخارجية التي تخصّ العراق بنحو خاصٍ ومنطقة الشرق الأوسط بنحو عام – فضلاً عن قضايا أخرى – ويسعى المركز إلى إجراء تحليل مستقلّ، وإيجاد حلول عمليّة جليّة لقضايا تهمّ الشأن السياسي، الاقتصادي، الاجتماعي، والثقافي.

لا تعبر الآراء الواردة في المقال بالضرورة عن اتجاهات يتبناها المركز وانما تعبر عن رأي كتابها

حقوق النشر محفوظة لمركز المنبر للدراسات والتنمية المستدامة

https://www.almanbar.org

info@almanbar.org

في مهد أول حضارة وامبراطورية في التاريخ..

اكتشاف أثري يثبت أن البيروقراطية في العراق تعود إلى 4000 عام

ترجمة وتحرير : مركز المنبر للدراسات و التنمية المستدامة

الكاتب: داليا ألبيرج

المصدر: "ذا أوبزرفر" صحيفة أسبوعية بريطانية ، نشر بتاريخ 15 أذار 2025 [1].

تُلقي الألواح الحجرية القديمة في بلاد ما بين النهرين الضوء على تفاصيل استثنائية، ممّا يبرز دور البيروقراطية الحكومية وتأثيرها في مهد حضارات العالم.

يمتد تاريخ البيروقراطية الحكومية لأكثر من 4000 عام، وفقاً لاكتشافات جديدة من بلاد ما بين النهرين، مهد حضارات العالم، حيث تم اكتشاف مئات الألواح الإدارية، التي تُعتبر أقدم دليل مادي على أول إمبراطورية في التاريخ المُسجَّلة بواسطة علماء الآثار من المتحف البريطاني والعراق.

تُوضِّح هذه الألواح التفاصيل الدقيقة للحكومة، كاشفةً عن بيروقراطية مُعقّدة تعكس الروتين لحضارة قديمة. وتعود هذه الأرشيفات إلى موقع "غيرسو" السومري القديم، المعروف حالياً "تيلو"، وتعود الى حقبة كانت فيها المدينة تحت سيطرة سلالة آكاد من عام 2300 إلى عام 2150 قبل الميلاد.

وقال سيباستيان راي، أمين قسم بلاد ما بين النهرين القديمة في المتحف البريطاني ومدير مشروع جيرسو : "هذه جداول بيانات الإمبراطورية، وهي أول دليل مادي على أول إمبراطورية في العالم، إنها الدليل الحقيقي على السيطرة الإمبراطورية وكيفية عملها فعلياً".

جيرسو، إحدى أقدم مدن العالم، كانت تُبجَّل في الألفية الثالثة قبل الميلاد باعتبارها ملاذ الإله السومري البطل نينجيرسو. كانت تمتد على مساحة مئات الهكتارات في أوج ازدهارها، وكانت من بين المدن السومرية المستقلة التي غزاها ملك بلاد ما بين النهرين سرجون حوالي عام 2300 قبل الميلاد. يُعتقد أن سرجون ينحدر من مدينة أكاد، التي لا يزال موقعها مجهولًا، لكن يُعتقد أنها كانت قريبة من بغداد الحديثة.

[1] 'Spreadsheets of empire': red tape goes back 4,000 years, say scientists after Iraq finds. https://www.theguardian.com/science/2025/mar/15/stone-tablets-mesopotamia-iraq-red-tape-bureaucracy

وأضاف راي: "طوّر سرجون هذا الشكل الجديد من الحكم من خلال غزو جميع المدن السومرية في بلاد ما بين النهرين، مؤسساً ما يُطلِق عليه معظم المؤرخين أول إمبراطورية في العالم".

ولفت إلى أن "المعلومات عن تلك الإمبراطورية، حتى هذه الحفريات الأخيرة، كانت مقتصرة على نقوش ملكية مُجزّأة وضخمة، أو نسخ لاحقة من نقوش أكادية غير موثوقة تماماً".

وحول الاكتشاف الجديد، أشار راي إلى أنه "في غاية الأهمية لأنه، ولأول مرة، لدينا أدلة ملموسة من خلال قطع أثرية في موقعها". وقد أُعجب بالتفاصيل الدقيقة المسجلة، قائلاً: " كانوا يُدوّنون كل شيء بدقة. إذا مات خروف على أطراف الإمبراطورية، فسيتم تسجيله. إنهم مهووسون بالبيروقراطية".

تحتوي الألواح، التي تتضمن رموزاً مسمارية، على سجلات لشؤون الدولة، والواردات والنفقات، بدءاً من الأسماك إلى الحيوانات الأليفة، ومن الدقيق إلى الشعير، وصولاً إلى المنسوجات والأحجار الكريمة.

تقوم دانا جودبيرن براون، وهي بريطانية أمريكية، بتنظيف الأقراص حتى يمكن نسخها. وتقول إن العمل شاق ومثير: "يعتقد الناس فقط أن الأشياء تخرج من الأرض وتبدو كما تراها في المتحف، لكنهم لا يدركون ما يتطلبه ذلك".

يسرد أحد الألواح التي إكتشافها، السلع المختلفة في الدولة : "250 جراماً من الذهب / 500 جرام من الفضة / ... أبقار مسمنة ... / 30 لتراً من البيرة". حتى أسماء ومهن المواطنين مُسجّلة.

ويقول راي: "النساء والرجال والأطفال – لدينا أسماء للجميع–

شغلت النساء مناصب مهمة في الدولة، فعلى سبيل المثال، يُوجد كاهنات عليّات، وعلى الرغم من أن المجتمع آنذاك كان يهيمن عليه الرجال إلى حد كبير، لكن دور المرأة كان، على الأقل، أعلى من العديد من المجتمعات الأخرى، وهو أمر لا يمكن إنكاره بناءاً على الأدلة المتوفرة لدينا".

تتراوح الوظائف المُدرجة من قاطعي الحجارة إلى ماسحي أرضية المعبد. ويقول راي: "كانت القدرة على كنس أرض الآلهة والكاهن الأعظم مهمة في غاية الأهمية. كانت مدن بلاد ما بين النهرين القديمة، من الناحية النظرية، تنتمي جميعها إلى الآلهة. وقد عملت الجمعية لصالح دولة المعبد".

تم العثور على الألواح في موقع مبنى كبير لأرشيف الدولة، مبني من جدران من الطوب ومُقسّم إلى غرف أو مكاتب. تحتوي بعض الألواح على مخططات معمارية للمباني، ومخططات ميدانية، وخرائط للقنوات.

تم التوصل إلى هذه الاكتشافات من قبل علماء الآثار في مشروع جيرسو، وهو مشروع تعاوني بين المتحف البريطاني ومجلس الآثار والتراث الحكومي العراقي، بتمويل من مؤسسة ميديتور ترست ."Meditor Trust " الخيرية

تم التنقيب عن الموقع في الأصل في القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين، واستهدفه اللصوص بعد حربيّ الخليج الأولى والثانية. وأوضح الباحثون: "تم نهب الألواح التي تعود إلى العهد الأكدي أو إزالتها بلا مبالاة من مُحيطها الأثري، ممّا أدى إلى إخراجها من سياقها. لذلك، كان من الصعب للغاية فهم آلية عمل الإدارة في تلك الحقبة من التاريخ القديم لبلاد ما بين النهرين".

الشيء الرئيسي الآن هو أننا تمكّنا من التنقيب عنها بشكل صحيح في سياقها الأثري. وقد تم الحفاظ على الاكتشافات الجديدة في الموقع، وبالتالي في سياقها الأصلي. يمكننا أن نقول على وجه اليقين إنه قد أصبح لدينا بالفعل أول دليل مادي على السيطرة الإمبراطورية في العالم، وهذا شيء جديد تماماً.

استمرت الإمبراطورية الأكدية لمدة 150 عاماً فقط، وانتهت بتمرد أدى إلى استقلال المدينة.

تجدر الإشارة إلى أن الاكتشافات الجديدة تم إرسالها إلى المتحف العراقي في بغداد لمزيد من الدراسة، قبل إعارتها المُحتملة إلى المتحف البريطاني.

***